علاقة الأسرة البطريركية بالاستبداد عند أبو علي ياسين

الدكتور غسان علاء الدين*

يارا حيدر**

(تاريخ الإيداع 5 / 10 / 2020. قبل للنشر في 2 / 12 / 2020)

□ ملخّص □

يحاول هذا البحث الوقوف على أهم الأفكار التي قدّمها أبو علي ياسين أثناء تعرّضه للحديث عن العلاقة الوثيقة بين الأسرة البطريركية (الأبوية) وإنتاج الاستبداد في العالم العربي وما يستتبعه ذلك من خلق أجيال جبانة طائعة تخضع لأيّ سلطة لاعقلانية مستبدة، لأنها أدمنت بالأساس الطاعة والخضوع وربيت عليهما. ولذلك يتوجب أن نعيد النظر فيما أنتج من قيم وأفكار تحت ظلّ هذه الأسرة الأبوية واستبدالها بقيم التحرر والاستقلال التي لن يكون للعالم العربيّ مكانة حضاريّة بين الأمم في ظلّ غيابها.

الكلمات المفتاحية : بطريركية ، استبداد ، لاعقلانية.

* أستاذ مساعد– قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين–اللاذقية– سورية.

**طالبة دراسات عليا(ماجستير) قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين–اللاذقية– سورية.

The patriarchal family's relation with tyranny at Abu Ali Yassin

Dr. Ghassan Alaa Al deen [*]
Yara Mohammad Haydar**

(Received 5 / 10 / 2020. Accepted 2 / 12 / 2020)

□ ABSTRACT □

This research tries to identify the most important ideas that are presented by Abu Ali Yassin during his talk about the close relationship between the patriarchal family (patriarchy) and the production of tyranny in the Arab world and the consequent creation of cowardly, obedient generations that are subject to any irrational, tyrannical authority because they are basically addicted to obedience and submission. And I was brought up on them, and therefore we must reconsider the values and ideas produced under the shadow of this patriarchal family and replace them with the values of liberation and independence that the Arab world will not have a civilized status among nations in their absence

Key words : Patriarchate ،tyranny، Not rational.

[*]**Associate professor-Department of philosophy-faculity of arts and human sciences-tishreen University -Lattakia-Syria-postgraduate student**
****Postgraduate Student, Department of philosophy -faculity of arts and human sciences-tishreen university -Lattakia -Syria**

مقدمة :

نسعى في هذا البحث إلى قراءة أفكار أبو علي ياسين في مسائل الجنس والاستبداد وعلاقتهما بالأسرة البطريركية التي مازال حضورها طاغياً في العالم العربي، في المجتمع العربي تربية مستقلة منفتحة على كلّ ما هو جديد يسهم في بناء الشخصيّة العربيّة المتحررة من كلّ قيدٍ وعبوديةٍ. من هنا تأتي أهمية عرض ومناقشة أفكار أبو على ياسين التي تعتبر جريئة جداً قياساً لما هو معتاد ومألوف وتقليدي في العالم العربي الذي مازالت عقليته ترفض ما هو جديد وحضاري تحت مبررات الحفاظ على التراث والتقاليد والأخلاق العربيّة الحميدة، من غير تبصّر بما قد يخلقه ذلك التمسّك بالتراث بعجره وبجرّه من تبعية وخضوع للأمم والحضارات الأخرى التي لا تدّخر وسعاً كي تتقدّم وتتحضّر من غير أن يعني ذلك قطعاً مع ماضيه وإنّما إعادة إنتاج ما هو مفيد فيه بطريقة تتناسب مع الظروف المستجدة.

أهميّة البحث وأهدافه :

يهدف البحث بشكل أساسي إلى تفحّص وتدقيق بعض المصطلحات والألفاظ التي استخدمها أبو على ياسين *في مناقشته لموضوع هام وذو حساسية في مجتمعنا العربي ، ونعني به علاقة* الأسرة البطريركية بإنتاج العنف والاستبداد، الأمر الذي يفضي إلى ولادة أجيال مشوّهة وتابعة وغير قادرة على المساهمة في بناء مجتمعها بشكل فاعل وحضاري. ومن هنا تأتي أهمية البحث الذي يعالج قضايا راهنة تحتاج إلى تأمّل وتفكير ويتطرق لقضايا يعتبر التفكير بها غير مألوف ومتداول، ولكن البقاء ضمن ما هو اعتيادي يحرم الإنسان من أن يتبصّر بالمشكلات التي يمكن أن تعترض طريقه وتمنعه من التقدّم والرقيّ، وهو الأمر الذي نحتاجه اليوم في عالمنا العربيّ أكثر من أيّ وقت مضى.

منهجية البحث :

إنّ المنهج المستخدم في بحثنا هو المنهج النقديّ التاريخيّ الذي يسعى لتحليل المفاهيم والمصطلحات التي يستخدمها أبو علي ياسين بغية معرفة السّياق المعرفيّ الذي أنتجت في إهابه لمعرفة الحدود التي تتاخمها تلك المفاهيم .

1- محرما الدّين والجنس عند أبو على ياسين :

يرى أبو على ياسين"[1] " أنّ على الانسان – في العالم العربيّ – أن ينشغل بمسائل الجنس ويهتم بها، ويعمل على الإحاطة بها، لكي يكون بمقدوره التعاطي مع دوافعه وحاجاته البيولوجية وسدّ الفراغ الناجم عنهما، على الرغم من

[1] – اسمه: ياسين حسن. عرف، ثقافياً، بالاسم الذي كان يناديه به أصدقاؤه في الشباب الأول : بوعلي ياسين. ولد عام 1942 في قرية "عين الجرب" التي تبعد 22 كم عن مدينة اللاذقية السورية باتجاه الشمال.

مؤلفاته:

يمكن تقسيم عمل بوعلي ياسين المعرفي إلى ست اتجاهات، يمكن اعتبارها بوابات أو مقدمات لست مشاريع، وضع في كلّ منها عدة كتب. يمكن تصنيف ذلك، إجرائياً، إذ أن المعارف متداخلة ومتشابكة، على النحو التالي:

في الشأن الفكري والسياسي:

. الثالوث المحرم: دراسة في الدين والجنس والصراع الطبقي (دار الطليعة . بيروت .1973) وصدر منها تسع طبعات لاحقة منقّحة ومزيدة.

. العرب في مرآة التاريخ (دار المدى . دمشق .1995)

أن مجرّد اهتمام الإنسان بتلك القضايا والتفكير فيها كافٍ لاتهامه بالإباحية، التي يحاربها الدّين ويرفضها المجتمع.

. قراءة في وثائق الوكالة اليهودية في فلسطين (دار الحداثة واتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين . 1982)

. نحن والغير في السياسية والاقتصاد (دار الحوار. اللاذقية . 1990)

. ماركسية العرب وانهيار السوفييت، (حوارات مع مجموعة من المفكرين أجراها: جمال ربيع) (دار مشرق مغرب . 1993)

. الأحزاب والحركات القومية العربية (بالاشتراك مع عدد من المؤلفين) (المركز العربي للدراسات الاستراتيجية . دمشق . 2001 ؟).

ترجماته

. الطوطم والتابو: فرويد (مراجعة محمود كبيبو) (دار الحوار. اللاذقية . 1983)

. المادية الجدلية والتحليل النفسي: فيلهلم رايش (دار الحداثة . 1980)

. مستقبل الحياة في الغرب: غيرد غيركن . ميشائيل كونيستر (دار الكنوز الأدبية . بيروت . 2000)

. الموساد: ذراع داؤود الطويلة: (دار الطليعة الجديدة . دمشق . 2003).

في الشأن الاقتصادي:

. القطن وظاهرة الإنتاج الأحادي في الاقتصاد السوري (دار الطليعة . بيروت 1974)

. السلطة العمالية على وسائل الإنتاج في التطبيق السوري والنظرية الاشتراكية (دار الحقائق . بيروت . 1979)

. حكاية الأرض والفلاح السوري (دار الحقائق . بيروت . 1979).

. الأزمات الاقتصادية: اوتو راينهولد (دار الفارابي . 1980)

. نمط الإنتاج الآسيوي في فكر ماركس وآنجلز: كارل ماركس . هلموت رايش (دار الحوار. اللاذقية . 1988). (يمكن أن يكون هذا الكتاب فكرياً أكثر منه اقتصادي، لكن وضعناه هنا، إجرائياً، لتعلقه، شكلاً، بنمط خاص من الإنتاج الاقتصادي).

في الشأن الثقافي والأدبي:

. الأدب والإيديولوجيا في سورية (بالاشتراك مع نبيل سليمان) (دار ابن خلدون . بيروت . 1974)

. معارك ثقافية في سورية (بالاشتراك مع نبيل سليمان ومحمد كامل الخطيب) (دار ابن رشد . بيروت . 1979)

. ينابيع الثقافة ودور الصراع الطبقي (دار الحوار. اللاذقية . 1985)

. على دروب الثقافة الديمقراطية (دار حوران . دمشق .1994)

. أهل القلم وما يسطرون (دار الكنوز الأدبية . بيروت . 2001)

. قروشات عاشق خائب (مخطوط، لم ينشر بعد).

. أوراق من الروزنامة: برتولد بريشت، مكتبة عين الزهور، اللاذقية، 1992. وأصدر طبعة ثانية مزيدة ومطورة له بعنوان: قصص من الروزنامة (دار الكنوز الأدبية . بيروت . 2000)

. أصل الفروق بين الجنسين: أرزولا شوي (دار التنوير . بيروت . 1982).

في قضيّة المرأة:

. أزمة الزواج في سورية (دار ابن رشد . بيروت . 1979) وصدرت طبعة ثانية مزيدة ومطورة له بعنوان: أزمة المرأة في المجتمع الذكوري العربي (دار الحوار. اللاذقية . 1991)

. حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة (دار الطليعة الجديدة . دمشق . 1998).

في التراث:

. خير الزاد من حكايات شهرزاد: دراسة في مجتمع ألف ليلة وليلة (دار الحوار. اللاذقية . 1986)

. الماركسية والتراث العربي الإسلامي (كتاب مشترك مع عدد من المؤلفين) (دار الحداثة . بيروت . 1980)

في الثقافة الشعبية:

. عين الزهور: سيرة ضاحكة (دار الحصاد . دمشق . 1993)

. بيان الحد بين الهزل والجد: دراسة في أدب النكتة (دار المدى . دمشق .1996)

. شمسات شباطية: ديوان المفارقات العربية الحديثة (دار الكنوز الأدبية . بيروت . 1999)

ولكنّ الانسياق مع مواضعات المجتمع وتحريماته والركون إليها سيقطع الطريق على أيّ تحرر جنسي يعدّه أبو على ياسين شرطاً أساسيا لكلّ تحرر، اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي . وهذا بحدّ ذاته يعتبر جرأة من أبو على ياسين قد لا يملكها غيره في مجتمع عربيّ إسلاميّ يُنَظر فيه إلى من يفكّر بهذه المسائل على أنّه إباحيّ ومنحلّ أخلاقياً. " **ففي مستهلّ كتابه (الثالوث المحرم) يري ياسين أن محرّما الدّين والجنس لا يمكن التحدّث بهما بشكل علمي ونقدي إلّا مع بعض الأصدقاء وبشكل موارب وفي إطار الدعابة أو المزاح** " [2]

إنّ الأمر اللافت عند أبو علي ياسين– المفكّر الماركسيّ– هو اعتقاده بأنّ الهدف من التهجّم على التنوير ومحاربة القائلين فيه في مجتمعاتنا العربية، لا بله التثقيف الاجتماعي والاقتصادي – هو كبت الصراع الطبقي من ناحية، و تثبيت الهرم الاجتماعي السائد من ناحية ثانية." **إنّ الغاية النهائيّة من محاربة التنوير والتثقيف الدّيني والجنسي والاجتماعي– الاقتصادي (التوعية الطبقية) والتهجّم عليها تحت تلك الأسماء الملعونة، هو كبت الصراع الطبقي، تمويهه، تحريفه ... هو تثبيت الهرم الاجتماعي السائد (بما فيه وضع المرأة).**"[3]

لقد كان ياسين يدرك تماماً أنّ التنوير في العالم العربي لن يكون مالم يتعوّد الفرد أن يناقش كلّ المسائل والقضايا التي تواجهه وتمنعه من أن يفهم عالمه ويتعرّف على مكانته فيه، حتّى تلك التي مازال الدّين في تلك المجتمعات يعتبر الخوض فيها من الكبائر التي لا يجوز ارتكابها. وكأنّي به – أي ياسين – يذهب إلى الاعتقاد أن التفكير بتلك المسائل هو اللحظة التأسيسيّة الأولى التي تساعد في خلق تنوير عقليّ يمكّن البشر في منطقتنا العربيّة من الوقوف في وجه الأنظمة المستبدّة التي تفعل كلّ ما في وسعها للإبقاء على الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية على ماهي عليه من أجل أن تكفل بقاءها ودوام سيطرته.

ولذلك نجد ياسين في كتابه (الثالوث المحرم) يذهب إلى القول بأنّه " **يوجد في مجتمعنا العربي محرمان هما : الجنس والدين، لا يجوز التحدّث عنهما نقدياً إلّا مع الأصحاب وبشكل مزاح، ولا تجوز دراستهما علميّاً تحت طائلة عدم النشر أو مصادرة الكتاب، الجريدة أو المجلّة الناشرة، أو تحت طائلة العقوبة القضائية، وفي كلّ الأحوال نبذ الناس (المجتمع) للكاتب ومضايقته في شتى المجالات. المحرمان هما : الدين والجنس** "[4]

بيد أنّنا في هذا السياق لن نتناول بالبحث إلّا المحرّم الأوّل (الجنس) بوصفه أحد نواتج العائلة البطريركية التي تعمل وفق نمطية ثقافية واجتماعية وحيدة الاتجاه تفضي في نهاية المطاف إلى إنتاج فرد مستبد وعبد في ذات الحين، لأنّ الاستبداد والعبودية صنوان لا ينفصلان البتة. وقد أفرد ياسين صفحات كثيرة في كتبه للحديث عن علاقة الأسرة البطريركية بإنتاج الاستبداد بكافة أشكاله وصوره. وقد عبّر عن ذلك بصريح القول بأنّ " **كلّ أشكال التسلّط التي عرفتها البشرية منذ بداية الحضارة وحتى الآن اعتمدت على الأسرة البطريركية وطابعها البطريركي، من ناحية أخرى رعت هذه النظم التسلّطية بدورها الأسرة البطريركية وحافظت عليها وعلى طابعها**"[5]

---

[2] – ياسين، أبو علي ، *الثالوث المحرم (دراسة في الدين والجنس والصراع الطبقي*). دار الطليعة . بيروت ، ط 2 ،1978، ص10.

[3] – المصدر السابق نفسه، ص22.

[4] ياسين، أبو علي ، الثالوث المحرم ، ص 10.

[5] – المصدر السابق نفسه،34–35.

إنّ المؤسسة الزوجية في الأسرة البطريركية، التي تدافع عن الزواج الأحاديّ الذي "**تنتج تاريخياً عن نشوء الملكيّة الخاصة للأرض وسيطرة الرجل**"[6] لا يمكن لها بأيّ حال – في نظر– ياسين – أن تشبع الحاجات والغرائز الجنسيّة للإنسان، لأنّ الإنسان هاهنا يفتقر إلى أي تجربة جنسيّة سابقة على الزواج، وبالتالي يضحى الزواج الشرعيّ هو التجربة الأولى لهذا الانسان، وعلى الرغم مما قد يظهر للبعض في ذلك من عفاف وطهارة وتخلّق، فإن – ياسين – يقرأ الأمر على نحو مختلف ومغاير لمفهومي الحلال والحرام الدينيين، لأنّ الإنسان عندما يواجه تجربة أمر ما للمرّة الأولى فربّما يجد نفسه في موضع لا يحسد عليه، من جهة إنّ تصوراته ومعارفه التي حصّلها سابقاً قد لا تتشابه البتّة مع تلك التجربة الجديدة التي لم يختبرها من قبل، فعلى سبيل المثال، قد يجد نفسه بعد أن يكون قد أشبع غريزته الجنسيّة عن طريق الزواج أنّه لم يكن يريد الزواج نهائيّاً وإنّما ما يريده فقط هو خوض تلك التجربة بغية إشباع دوافعه الجنسيّة التي لم يكن متاحاً له إشباعها قبل الزواج بسبب جملة من التحريمات الدينيّة والأخلاقيّة التي يفرضها المجتمع على الأفراد الذين ينتمون إليه، وهنا يجد نفسه في مواجهة وضع ضاغط لا يمكن الإفلات منه، فما حصل قد حصل ولم يعد بإمكانه أن يغادر الزواج إلى ما قبله نتيجة موانع كثيرة لا تبدأ بالمهر الكبير الذي سيدفعه في حال فعل ذلك فحسب، ولكنّ في نظرة الآخرين إليه وما قد تحمله من تساؤلات مريبة يصعب عليه قبولها، الأمر الذي يدفعه إلى تناسي تلك الأفكار والتعايش مع الوضع الجديد الذي وجد نفسه فيه ليعيش بقيّة عمره في تعاسة وحزن، وهو الأمر الذي يفضي به – كما يذهب ياسين – إلى" **الوقوع في أمراض عصابيّة تنتج من تصارع الحاجة مع المحرّم، من تصارع الرغبة مع المنع، والنتيجة مرض نفسي يشكّل عصابة أو معيقات نفسية مثل، كره الرجال من قبل المرأة أو كره النساء من قبل الرجل، والخوف المبهم (غير المعلّل)، والشعور بالذنب .. وغير ذلك**" [7]

إنّ انتقاد – ياسين – للزواج البطريركي الأحادي ليس إلّا نتيجة لما يخلقه من مشكلات، حينما يدعو إلى تثبيت الجنس في شخص واحد، هو الشريك بعد الزواج، هذا " **التثبيت يجعل من الجماع أمراً عاديّاً، كما أنّه يعني في نفس الوقت التمسّك اللاإرادي بالزواج الأحادي** "[8]

قد تبدو قراءة ما يقوله ياسين خارج عن سياق المتداول والمألوف في مجتمعاتنا العربيّة التي تتغنى بالزواج الأحادي والشريك الوحيد، لأنّ ذلك يتفق مع التعاليم الدينيّة التي لا تبيح تعدّد العلاقات خارج إطار الزوجيّة مع أنّها تشرّع الزواج بأكثر من امرأه. غير أنّنا قد نتفهّم القصد الذي ينحو إليه – ياسين – حينما ندرك أنّه يقصد إلى أنّ هذا الحضّ على الزواج الأحادي في الأسرة البطريركية والدفاع عنه باعتباره قضيّة أخلاقيّة ودينيّة بذات الحين، يدخل في إطار المنفعة والحاجة للطبقات الاجتماعية الحاكمة في مجتمعاتنا العربية، لأنّه عندما لا تشبع الحاجة الجنسية، فإنّه من المتعذر أن تبقى كامنة ومحصورة في حيّز محدد، فهي مثل سدّ حجزت مياهه حيناً من الزمن، ولكن ذلك الحجز لن يطول، لأنّ فائض المياه الزائد عن الحاجة التخزينية للسدّ لابدّ أن تصرّف وإلا تعرّض السدّ للانهيار، وهكذا هو حال الحاجة الجنسيّة عند الإنسان، ولكن بدلاً من أن تُصرُف في مكانها الطبيعي نجد أنّ الطبقات الحاكمة تعمل على "**تحويل هذه القدرة الزائدة نحو نوع معين من الإنتاج وشكل معيّن من الاستهلاك، فالإنسان المكبوت ليس حقاً بقادر**

---

[6] – **انجلز، فريدريك، *أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، في: ماركس ، انجلز، مختارات*. المجلد الثالث، دار التقدم، موسكو، 1970، ص 211.**

[7] – **ياسين، أبو علي ، الثالوث المحرم ، ص37.**

[8] – **المصدر السابق ذاته، ص37.**

على العمل الخلّاق مثل الإنسان المشبع جنسياً، إذ أنّ الحرمان الجنسيّ يجعله في نفسيّة ووضعيّة فيزيولوجية معيقة لهذا العمل."[9]

يحاول أبو علي ياسين في تحليله هذا للإنسان المكبوت جنسيّاً في ظلّ الأسرة البطريركية أنّ يبيّن درجة حضور الاقتصاد بكل مفاعيله في هذا التحليل الذي تأثّر فيه بماركس الذي يبحث في اغتراب العامل عن نفسه وتحوله إلى سلعة قابلة للعرض والطلب في السوق بفعل الحاجة، ولكن بينما تكون الحاجة عند ماركس اقتصادية بشكل أساسي، نجدها عند – ياسين – حاجة جنسية دون ان يعني ذلك انفصالها عن الحاجات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى. ولذلك نلاحظ أن – ياسين– حين يغوص في أعماق الإنسان المكبوت جنسياً بغية فهمه وتحليله يتكشّف له أنه إنسان مسحوق نفسيّاً واجتماعيّاً و اقتصاديّاً بذات الحين، ولأنّه كذلك فهو "**يقوم بأيّ عمل يُطلب منه، ناهيك عن أنّ الكبت الجنسيّ أيضاً يدعو إلى، الاستهلاك لسلع معينة أو بصورة عامة، وإلى زيادة الاستهلاك كتعويض وسلوان عن الحاجة الجنسية غير المسدودة** "[10]

إنّ ياسين يميّز ببراعة بين الضغط الاقتصادي الذي يمارس من قبل الطبقات الرأسماليّة على الأفراد وما بين الكبت الجنسي الذي يتربّون عليه باعتباره فضيلة، وذلك من جهة طريقة تصريف كلّ من النشاطين (الاقتصادي والجنسي) فعلى الصعيد الاقتصادي لا يجد الإنسان حرجاً في مناقشة كلّ ما من شأنه أن يقوده إلى تأمين احتياجاته، لا بل قد يثور وينفجر في وجه مضطهديه اقتصادياً إذا سمح له وعيه ان يحددهم، ولكنّه على الصعيد الجنسيّ يسلك بشكل مناقض لسلوكه الأوّل فعلى المستوى الجنسي، حتى لو عانى الفرد من الكبت ما عاناه، فإنّه لن يكون بمقدورة نتيجة لظروف اجتماعية تتعلق بالعادات والتقاليد والموروثات من أن يناقش وضعه ويتحدّث مع غيره في هذا الأمر، لأنّ ذلك قد يطعن في رجولته، الأمر الذي يدفعه لتحويل موضوع كبته إلى اللاشعور وبالتالي يتحول إلى كبت يعاني منه صاحبه أيّما معاناة. يقول ياسين في ذلك :" **إن زيادة الضغط الاقتصادي تؤدي إلى زيادة رد الفعل ، إلى الانفجار، بينما تؤدي زيادة الضغط الجنسي إلى العكس تماماً إذ تعمل كمعيق ومثبط لرد الفعل الثوري، للصراع الطبقي، السبب في ذلك هو تمثل الإنسان للضغط الجنسي، أي نقله إلى اللاشعور بطريقة ما يسمى الكبح أو الكبت. أي دحر الحاجة الجنسية باطنياً إلى الداخل ...ثم يبرر كبته هذا بمقاومة خلقية، بالأخلاق المعادية للجنس (على مبدأ أن يجعل الفرد من الضرورة فضيلة** "[11]

وهنا تظهر براعة ياسين في أنه يوجه إصبع الاتهام لما يعانيه الفرد والجماعات في العالم العربي في ظل تفاوت طبقي شديد ،يجبر فيه الأفراد على ان يسلكوا وفق إرادة الطبقات العليا ، ويستهلكوا السلع التي تريدها هذه الطبقات ، وما ذلك إلا نتيجة عدم تمكنهم من أن يسدوا حاجاتهم الجنسية بشكل طبيعي دون ان يتم ذلك من خلال تصنيفات ومعايير لا تخدم إلا المنتمين لتلك الطبقات العليا تحت مبررات أخلاقية ودينية واهية يراد من وراءها حجب السبب الرئيسي لبؤس الافراد ومعاناتهم .

[9] – المصدر السابق ذاته، ص38.

[10] – المصدر السابق ذاته، ص 40.

[11] – ياسين، أبو علي ، الثالوث المحرم ،. ص 43.

2- علاقة الضرورة الاجتماعية بتحديد العلاقات الجنسية :

أن ما يبدو إنه ضرورة اجتماعية في هذا السياق الذي يتحدث فيه – ياسين – ينطلق من مصالح الطبقات المتسلطة التي عمدت وفق سلم أولويات مصالحها بتحديد العلاقات الجنسية وكبحها، من خلال التركيز على قوة فوق – أرضية هي التي أملت عليها أن تفعل ذلك . ولكن الملفت أن هذه الضرورة التي كانت موجهة في البداية ضد مصالح الفقراء والمحتاجين "**توجهت آخر الأمر مع تطور المجتمع البشري أيضا ضد حاجات الطبقات المتسلطة نفسها كمجموعات من البشر ، وإن كان طبعا بقدر أقل مما حدث للطبقات المحكومة** "[12].ص١٣

إن ياسين لا يرى في الطاعة أي فضيلة أو قيمة أخلاقية، لأن الفرد حين يدمن الطاعة تختفي شخصيته تماماً ويصبح اكثر استعدادا للرضوخ لغيرة ،سواء أكان ذلك الآخر دولة أم طبقات ، الأمر الذي يفضي فيما بعد إلى سيادة الخوف واختفاء فضيلة التعبير عن الرأي .

فالطاعة بالنسبة لياسين أس الشرور لأنها تعوّد الفرد على الخضوع والاستسلام الذي وأن بدأ من طاعة الأهل واختلط بفضيلة الاحترام، فإنه من مرور الأيام يتحول إلى جبن وخوف ، ويضحى خضوع للسلطة – أي سلطة – بوجه عام ، ومن يتعوّد الطاعة لمتسلط ما أيا كانت مكانته فإنه عندما تتاح له فرصة الاستبداد والتسلط لن يتوانى عن استغلالها أسوء استغلال .ولكن ذلك لا يعني أن ياسين يدعو إلى التمرد وعدم احترام الأهل وذوي الأمر وإنما يتوجّب أن يكون احترام عقلاني لا يفضي لاحقاً إلى إلغاء شخصية الفرد الأمر الذي يحرمه من فرصة أن يكون مستقلاً في قراراته وإرادته.

فحتى لو كانت هذه الطاعة كما يرى ياسين – وهي تبدأ دوما على هذا النحو– متوجهة نحو الأب والأم والمقربون في العائلة والقبيلة والدين فإن ذلك يشكل عامل خطورة على استقلال الفرد في مقبل الأيام . وهو ما عبّر عنه بصريح القول عالم النفس (أريك فروم) بالقول " **إن الشخص المرتبط بالأم أو القبيلة – وهي أول مراحل الارتباط – ليس حرا ليحقق ذاته ، أو ليكوّن أي اعتقاد خاص به، أو لكي يلتزم بشيء ما، إنه غير قادر على الانفتاح على العالم وتقبله، فإنه دائما رهين تعلقه المرضي بالأم أو الأصل العرقي أو الدين، فالإنسان لا يولد بالكامل ، وبالتالي لا تكون له حرية التحرك للأمام وتحقيق ذاته ، إلا إلى الحد الذي يتخلص به من كل أشكال تعلق غشيان المحارم** "[13]

يذهب أبو على ياسين إلى الاعتقاد أن الاسرة البطريركية ، وبسبب بنيتها وأيديولوجيتها تجد نفسها مرغمة على إنتاج الاستبداد بكافة مستوياتها ، لأن الطفل في تلك الأسر ينشأ منذ نعومة أظفاره على الطاعة والخضوع . فالطاعة بهذا المعنى الذي يقصد إليه (ياسين) وحتى لو بدت للوهلة الأولى أنها محمودة الجانب كونها ألصق بالجانب الاخلاقي والتربوي للفرد ، إلا أن الإدمان عليها يعوّد الطفل على أن يعيش بقية عمره في وهاد الاحساس بالخوف والضعف والنظر إلى من يعلوه مكانة اجتماعية على أنه أفضل منه، الأمر الذي يبقيه خاضعاً لأولئك الذين يفوقونه مكانة، في حين يمارس فيه ذلك الطفل الاستبداد والتنمر على من هم أدنى منه في السلم الاجتماعي ، بمعنى آخر يتدرّب الطفل في الاسر البطريركية رغماً عنه على أن يكون عبداً ومستبداً في ذات الوقت بحسب ما يقتضيه الموقف والظرف. وهو ما يسميه أبو علي ياسين في هذا السياق" **العبد الهياب والمطيع لسيده وأبيه** "[14] وهو ما يؤكده أريك

---

[12] – **المصدر السابق ذاته ، ص34.**

[13] – **فروم ، إريك، *الانسان من اجل ذاته*. ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، ط1 ،2007، ص121.**

[14] – **ياسين، ابو علي ، الثالوث المحرم، ص35.**

فروم بقوله "**في المجتمعات الابوية تكون علاقة الأبن بالأب علاقة خضوع من جهة ن ولكنها علاقة تمرد من جهة أخرى ، وهذه العلاقة تشتمل على عنصر تفسخ دائم ، والخضوع للأب من صنع الإنسان فهو مصطنع، وقائم على السلطة والقانون.**"[15]

وليس القانون وحده هو الذي يساعد على تربية هذا الولد المزدوج الشخصية، وإنما أيضاً الدّين من خلال جملة كبيرة من الآيات والأحاديث التي تحض على الطاعة التي قد تبدو إيجابية لبعض الوقت لكنها حين يتعوّد عليها الولد تتحول إلى عائق في طريق تقدمه وتحرره واستقلالية قراره في المستقبل . ومن هنا يأتي قول أبو على ياسين في مكانه عندما يرى أن " **طاعة سلطة عقلانية معينة دون عقلانية ، لا تبقى عند حد طاعة هذه السلطة، بل تتعداها إلى طاعة السلطة كسلطة، إلى طاعة أي سلطة. وإذا سمحت الظروف للعبد في التسلط، فلن يكون أفضل من سيده ، بل – في أفضل الأحوال – نسخة عنه** "[16]

وهذا مالا يفطن إليه المربون في عالمنا العربي، بل أنهم يتناسوه تماماً، حين يعتقدون أن احترام الطفل لوالديه يبدأ من تقبيله لأياديهم وطاعته الكاملة لهم في كل شاردة وواردة تحت مبررات التربية الحسنة والأخلاق الحميدة، غافلين أو متغافلين عن– قصد أو من غير قصد – أن الطاعة ، التي تتطابق مع الخضوع والعبودية هاهنا ، تبدأ من مستوى طاعة الوالدين لتمتد لاحقا إلى طاعة السيد، أي سيد كان، وهنا تبدأ الطامة الكبرى حينما يبدأ مسلسل الاستبداد يمارس فعله على كل الصعد والمستويات؛ اقتصادياً للمالكين الكبار، وسياسياً للقادة والمتنفذين، واجتماعياً لأصحاب الحظوة والجاه، ودينياً لرجال الدين ومن يقوم مقامهم، الأمر الذي قد يجعل الطفل الذي يقدم الطاعة لوالديه تحت مسوغ حق الأبوة يدمن العبودية والطاعة .

بيد أن أبو علي ياسين لا يقف عند هذا الاعتقاد بالنسبة للأسرة البطريركية وإنتاجها للاستبداد فقط وإنما يتجاوز ذلك إلى أمر يحتاج التفكير فيه إلى شجاعة كبيرة قد لا يملكها نفر كبير من المفكرين العرب، نظرا لما يتطلّبه ذلك من سباحة ضد تيار المعتاد والمألوف، وهو ما بدا بجلاء حين تطرق (ياسين) إلى موضوع الجنس وشغل نفسه بتحليله في إطار علاقته بالأسرة البطريركية التي وجد فيها مؤسسة لتنظيم الجنس ولتقييده، وهو إذ يفعل ذلك ويفكر في تلك المسالة بالذات فلكي يكسر التابوات المحرمة، ويتجاوز الحدود المألوفة، ويقفز فوق الاعتيادي والمتداول، ويفكر بما لا يستطيعه إلّا قلّة من المفكرين المتنورين الشجعان الذين يعرفون أن تقدّم المجتمعات مرهون بأن يفكّر الانسان بطريقة جديدة، ويعالج القضايا بجرأة ومن غير خوف. ففي الأسر البطريركية ينشأ الأطفال على الكبت والتستّر على كلّ ما من شأنه أن يتصل بالقضايا الجنسية، التي يثير التفكير فيها الخوف والهلع ليس من الأطفال فحسب بل من الكبار الذين كانوا صغارا في يوم ما وتربوا على أنّ تلك الأفعال المتعلقة بالجنس تعدّ خطيئة كبرى لا يجوز اقترافها جهراً، ونقول جهراً لأنّ الطفل وبحكم غريزته وطبيعته سيقوم سراً بكلّ مالا يتاح له فعله علانية، مادامت كلّ أفعاله، حتّى تلك التي تبدو أن لا علاقة لها بالجنس، وليدة الدوافع الجنسيّة المكبوتة في اللاوعي والتي تنتظر مسرباً لتظهر منه وتطلّ برأسها على هيئه سلوكات وتصرفات غريبة. فكلّ ما يحجز ويمنع من الظهور سيظهر بالضرورة عندما تتاح له الفرصة لذلك. فالأسرة البطريركية وفق هذا التحليل " **تعمل على إعادة إنتاج نفسها، فتربي أطفالها على أن ينشؤوا في المستقبل أسراً مشابهة. في سبيل ذلك تعلّمهم وتفرض عليهم بعد البلوغ التنازل عن الجماع (الزنى) كما تسميه، ثمّ**

[15] – فروم، اريك ، *المجتمع السوي* . ترجمة وتحقيق محمود منقذ الهاشمي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 2015. ص153.

[16] – ياسين، ابو علي ، الثالوث المحرم ، ص 35.

دخول الزواج الأحادي مدى العمر. بهذا تقف الأسرة عائقاً أمام الأطفال والأحداث والشبيبة في تفتح شخصيتهم وتكوينها بشكل صحيّ "[17]

إنّ أبو علي ياسين في هذا السياق يتحدّث عن الدور الذي تلعبه الأسرة البطريركية في تنشئة أطفال مشوهين نفسياً وعاطفياً من خلال قسرهم على أن يمارسوا أدواراً بعينها تعمل على الإطاحة باستقلالهم الشخصي لصالح تبعية بغيضة لا يستفيد منها في نهاية الأمر إلّا المتنفذين وأولي الأمر، وذلك من خلال إقناعهم بأنّ الزواج الأحاديّ يدخل في خانة التخلّق والسلوك الحسن لأنّه يحترم الشريك الذي قد يكون قد تم اختياره ربّما في ظروف غير طبيعية وغير مناسبة بحيث يجد الإنسان في لحظة ما أنّه لم يعد بمستطاعه أن يتابع مسيرة حياته مع ذلك الشريك، ولذلك يكون من الأجدى للشخص ذاته وللمجتمع أن يتم الانفصال بينهما لكي يكون بمقدور كل منهما (الشركاء) أن يتابعوا حياتهم بشكل طبيعي دون أن يكون لذلك الانفصال عقابيل أخلاقية وقيمية .

والملفت أنّ ياسين يعتقد أن الأهل هم الذين يؤسسوا لخلق تلك القيم التي تحضّ على الزواج الأحادي ، فينتجون بذلك علاقات اجتماعية غاية في الرداءة والسوء تنعكس لاحقاً على تقدّم المجتمع ونهضته " **إن لبقاء سلطة الأهل غاية اجتماعية طبقية، فالأسرة هي أفضل مكان لإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية السائدة، فتسلّط الأهل هو من تسلّط المجتمع، أي التسلّط الطبقيّ** " [18]

ولكن ياسين المفكر الماركسي يجد أنّ العلاقات في المجتمع بين الأهل والأبناء ترتدي حلة اقتصادية بحيث يصعب فهمها والوقوف على آليات عملها من غير معرفة المنزع الاقتصادي الذي يحكمها، حتّى وإن بدت بعض هذه العلاقات وكأنّها بعيدة كلّ البعد عن الجانب الاقتصادي إلا أنّه لا يمكن فهمها وتحليلها بمعزل عن تحليل بنى التشكيلات الاقتصادية المنتجة لتلك العلاقات. **فحتّى الجنس والزواج هما بالنسبة لياسين و منذ القدم أداة ليس للكسب فحسب، بل أيضاً أداة لإعادة توزيع الثروة والدخل، وبالتّالي فإنّ ما يسمّى (تقليد) الفئات الوضيعة للفئات العالية في الهرم الطبقي، هو في – مجال الجنس والزواج – في نفس الوقت محاولة من قبل الفئات الوضيعة لتحصل على حصتها من التقدم الاجتماعي الاقتصادي محاولة سهلة ومقبولة من الفئات الأخرى في مجتمعنا "**[19].

الخاتمة

في نهاية البحث الذي استعرضنا فيه بعض الأفكار التي قدمّها أبو على ياسين ليناقش بها مسألة على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية، نلاحظ أنه–أي ياسين– قد قدّم طروحات جريئة تستحق العناية والتفكّر بغية توطينها في العالم العربي لخلق شخصيّة مستقلّة برأيها وقرارها وغير مستعبدة لأحد، لأنّ الخضوع والاستبداد هما أكثر الشرور التي تمنع النهوض والتحضر. وأبو علي إذا يتعرّض لتحليل وتأمّل تلك الأفكار فهو يعمل على استجلاء مظاهر الطاعة والخضوع على الصعيد النفسيّ والاجتماعيّ وانعكاسه لاحقاً على الجانب السياسيّ لدرجة يكاد يطبع الشخصيّة العربيّة بطابع الاستكانة والركون إلى ما هو اعتياديّ ومألوف وهو ما يرفضه أبو علي ياسين رفضاً قاطعاً لأنّه يطمح إلى أن يكون لتلك الشخصية العربيّة حضور فاعل بين الأمم الحرّة والمتحضرة، حتّى لو كان الطموح ليس إلّا وجه من أوجه الأمنيات ليس غير.

---

[17] – **ياسين، ابو علي، الثالوث المحرم. ص36.**

[18] – **ياسين، أبو علي، *أزمة المرأة في المجتمع الذكوري العربي*. مطابع ألف باء الأديب ، دمشق ، 1992 ، ص42.**

[19] – **المصدر السابق نفسه، ص47.**

Soures and refereances

1 - Yassin abou ali ,***the forbidden triad (A study in religion, gender, and class struggle***).2 nd edition .Dar Al taleea.beirut .1978 . 156 .
2 - Frederick Engles,***the origin of the family ,privat property and the stat,in marx,Engles*** ,selections of third volume .Dar Al-takadum,Moscow.1970 203 .
3 - Fromm,Eric***.Man of himself*** .translated by Mahmoud Monqith Al-Hashemi. ed 1.2007. 280 .
4 - Fromm,Eric***.Normal society.***Dar Al-Hiwar for publishing and distribution. Lattakia. ed 1 .2015. 463 .
5 - Yassin abou ali ***, The Women's Crisis in the Arab Male Society***.alf baa Al-deeb press.damadcu.1992 . 184 .